أندريه جيـــد

فى العشرين من فبراير من العام الحالى توفى عميد الكتاب الفرنسيين « أندريه جيد André Jide » وكان قد أصيب بنوبة قلبية قبل وفاته بعشرة أيام أعقبها إلتهاب رئوى وضعف شامل حتى فاضت روحه إلى باريها وكان إلى جانبه ابنته « كاترين » وزوجها الكاتب الشاب « جان لأمبير » .

وقد ولد أندريه جيد فى نوفمبر سنة ١٨٦٩ بباريس وتلقى تعليمه فى المدرسة الإلزامية بها وكان تلميذاً بليداً للغاية وقد امتاز بالحصول على الصفر كل أسبوع ، وفى هذا يقول أندريه جيد « لقد كنت فى سبات عميق كأنى لم أكن ولدت بعد ، لقد كنت أبله ونصف نائم » .

وكان أندريه جيد شخصية مزدوجة ويرجع ذلك الازدواج العجيب والتناقض المدهش فى شخصية « جيد » إلى الوراثة .

فقد كان أبوه « بروتستانتياً » من جنوب فرنسا وكانت أمه « كاثوليكية » من الشمال ولا يوجد أكثر من هذين المذهبين تبايناً .

وقد أغناه ثراؤه عن الاشتغال بأى عمل من الأعمال فتفرغ للأدب واستمتع بحرية فردية تامة . وله عدة كتب أدبية رائعة منها « أوديب » وقد ترجمه إلى العربية الدكتور طه حسين ، والباب الضيق ترجمه الأستاذ نزيه الحكيم ، ومدرسة النساء للدكتور صبرى فهمى . ومن كتبه الأدبية الرائعة التى لم تترجم بعد الأغنية الأرضية « السينفونية — الريفية » ثم اليوميات التى تعد أعظم ما كتبه وفيها خلاصة فكره وأدبه وفلسفته وقوته فى التعبير وبراعته فى الأسلوب ، وقد ترجم أندريه جيد عن شكسبير وبوشكين وطاغور وغيرهم من أعلام الأدب .

ومنحته جامعة أكسفورد فى يونيه سنة ١٩٤٧ الدكتوراه الفخرية فى الآداب وكان هذا أول تقدير ادبى له رغم أنه كان فى ذلك الحين قد بلغ الثامنة والسبعين من عمره وفى نهاية تلك السنة حاز أندريه جيد جائزة نوبل العالمية للاداب .

وكان أندريه جيد كاتباً حراً ولقد نصب نفسه محامياً عن المظلومين من الناس وفى زيارته « للكونغو الفرنسى » عام سنة ١٩٢٥ انتقد سوء الإدارة فيه انتقاداً شديداً ونعى على البيض اضطهادهم للزنوج الوطنيين حتى اضطر الحكومة الفرنسية إلى تأليف لجنة للتحقيق فى هذه التهم .

وأنديه جيد من أولئك الذين رفعوا راية العصيان وثاروا على مادية القرن التاسع عشر ، فاندفع عام ١٩٣٥ إلى اعتناق الشيوعية ولعل مادفع به إلى اعتناق الشيوعية هو إشفاقه على القيم الحضارية فى الغرب أن تحيد وتنمحى فلم يجد بداً من التوجه إلى آفاق جديدة على أنه ما لبث قليلا حتى عاد إلى رشده فكفر بالشيوعية ونارها ودمائها .

ومن الأسباب التى دفعته أيضاً إلى اعتناق الشيوعية هو إيمانه بالحرية الفردية وبالعدالة والمساواة وقد رأى الشيوعية تنادى بتحقيق هذه المبـــادىء الإنسانية الرفيعة على أوسع نطاق عرفه التاريخ فأثار هذا حماسته للشيوعيين .

ولـكن عنـد ما زار أنديه جيد روسيا وقد امتلأت نفسه أملا وطار به خيـــاله إلى تلك الجمهورية المثالية أو « المدينة الفاضلة » التى استطاع فيها الإنسان أن يحقق مشيئة الآلهة .

وانغمس وسط جموع العمال هناك وراح يفرك عينيه غير مصدق ما يرى . لقد رأى الكثيرين هناك يعيشون فى بؤس وشقاء لا مثيل له فى العالم المتحضر . كما رأى أندريه جيد الأنسان وقد استحال إلى آلة صماء .

وأندريه جيد بوصفه فناناً حراً فقد أثار سخطه القيود المفروضة على الفن فى روسيا ، فكان يعتقد « أن الفن نفسه هو الحرية فحيثما لا تكون حرية لا يكون فنا والقيمة الحقيقية للفنان إنما هى فى قدرته على الثورة والمعارضة

وخير ما أختم به هذه المقالة قطعة كتبها أندريه جيد على لسان فتاة عاشقة تطلب من ربها أن يعيد لها حبيبها الغائب .

« رب إنك تعرف حق المعرفة أنى فى حاجة إليه لأحبك !

يا إلهى ، هبنى إياه أهبك قلبى .

يا إلهى ، دعنى أره فقط .

يا إلهى أعاهدك أن أعطيك قلبى فأجب هواى إلى طلبته ولن أهب إلا لك ما تبقى من حياتى .

يا إلهى ، غفرانك لهذه الصلاة الذليلة فما أملك أن أجنب اسمه شفتى ولا أن أسلو آلام قلبى .

يا إلهى أنى إليك أفزع فلا تعرض عنى فى محنتى » .

فيصل صالح مطوع